

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

السنة الثالثة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: الأدب العربي

السادسي السادس :

الأفواج: 1-2-3-4-5-6 .

الأستاذة: دروالي

محاضرات في مقاييس:

النص السردي المغربي

السنة الجامعية: 2023-2024

المحاضرة الخامسة - الرواية المغربية مابعد الكولونيالية :

سيطرت الثقافة الكولونيالية للمستعمر (الفرنسي-الانجليزي) على مستعمراتهم الإفريقية والآسيوية لفترة طويلة وكان لابد لتلك الشعوب- بعد استقلالها- أن تنتج خطاب أدبي مقاوم للكولونيالية، فظهر أدب مابعد الكولونيالية.

أولاً: الرواية مابعد الكولونيالية :

عمل الاستعمار الفرنسي على إنتاج آداب خدمت ثقافته ومشاريعه الاستيطانية، ومن أبرزها الرواية الكولونيالية التي مثلت وجهه الحضاري، وظهر بعد استقلال الشعوب رواية أخرى عُرفت برواية مابعد الكولونيالية.

1- مفهوم مصطلح مابعد الكولونيالية :

يعد مصطلح مابعد الكولونيالية دخيل على الثقافة العربية، وغالبًا ما يستعمل مصطلحا الاستعمار والإمبريالية الواحد مكان الآخر، فكان استعماري أو كولونيالي حسب قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية مشتقة من كلمة كولونيا Colonia التي كانت تعني مزرعة أو مستعمرة .

فالكولونيالية تعني الاستعمار والهيمنة الإمبريالية لشعوب العالم الثالث، ومصطلح مابعد الكولونيالية هو حديث الوضع والاستعمال، ويتداخل مع مصطلح الاستقلال، ويرى آخرون بأن مابعد الكولونيالية منسجمة مع المقاومة والمعارضة العلنية (مناهضة الكولونيالية) وأن الاستقلال غالبًا ما يعني ببساطة تنصيب شكل كولونيالي جديد.

ومنه نقصد بمابعد الكولونيالية تلك الآداب التي ظهرت بعد استقلال شعوب العالم الثالث، والتي حصلت على استقلالها حديثاً، و من أبرزها شعوب المغرب العربي، وهي تحمل طابع مقاومة ثقافة الاحتلال المستعمر لها من قبل وقد شكل نقد الخطاب الاستعماري، وتحليل الآداب التي أنتجت داخل المستعمرات القديمة، والأراضي التي لاتزال خاضعة لسلطته، أو تأثير مراكز الاستقطاب (وبخاصة الفرنسية) شكل موضع نتاجات أدبية معادية للاستعمار، وتعد الآداب الأفريقية والكندية والأسترالية والهندية هي آداب مابعد كولونيالية بحكم كونها تحددت، وتوطدت في نفس الوقت بعلاقتها مع المركز وبتميزها عنه .

في الميدان الفرنكفوني ولد النقد مابعد الكولونيالي من خلال دراسته للآداب المغربية والكوادية والأنتيلية أو الفيتنامية مفاهيم التهجين، والواقع أن أدباء من أمثال كوروما وياتريك شامازو والطاهر بن جلون وعزوز بيغاج ساهموا بقوة في أصناف نقدية، ، وشمل الآداب المعادية لثقافة الاستعمار أو الثقافة الكولونيالية، ومنها الرواية مابعد الكولونيالية، وهي الرواية التي ظهرت مابعد الاستعمار، ونشأت علاقة بين الرواية والتيار مابعد الكولونيالي، واختار رواد هذا التيار الرواية دون غيرها؛ لأن الرواية هي الجنس الأقدر على التعبير، وهوماتصوره في كثير من المواقف "الروايات مابعد الكولونيالية بوصفها حكايات رمزية قومية مرتبطة بثقافة مجتمع العالم الثالث، وفي سياق متصل يرى إدوارد سعيد في كتابه الثقافة والمقاومة "أن الرواية هي الثقافة، التي تحصن أصحابها وتحميهم من الذوبان في منظومة الهيمنة، التي تُلمي عليهم من الخارج، ومنه كانت الرواية وسيلة ناجعة للرد عن هيمنة الاستعمار.

ومنه نستطيع القول بأن مصطلح الكولونيالية مرادف للمصطلحات التالية: الحضارية، الإمبريالية، الحداثة المركزية، ومثلته ثقافة دول الشمال أو الغرب المحتل ، وأما مصطلح مابعد الكولونيالية فمرادفاته: مابعد الحضارية، الاستقلال، مابعد الحداثة ، وتمثل ثقافة شعوب العالم الثالث التي كانت محتلة .

ومنه فالرواية مابعد الكولونيالية هي الرواية التي ظهرت بعد استقلال الشعوب المستعمرة، وتتضمن خطاب روائي معادي لثقافة المستعمر ، وخطاب مضاد لخطاب الرواية الكولونيالية .

2 - أبرز مصادر التيار مابعد الكولونيالية :

مما هو معلوم أن هناك عدة مؤلفات أرخت لتيار مابعد الكولونيالية ، ومن أبرزها نذكر :
أ- كتاب المعذبون في الأرض " 1961 لفرانز فرانز حيث عادت جذور تيار مابعد الكولونيالية إلى هذا الكتاب فيعد مُبشراً للخطاب مابعد الكولونيالي، وقد وجه نقدًا لاذعًا للاحتلال، ويعد هذا الكتاب أول محاولة للقيام بتدخل نظري في بروز أفريقيا مابعد الكولونيالية، وإذ ينطلق العمل من أرضية الثورة الجزائرية، واعتبرالنقاد أن أول محاولة لخطاب معادي للكولونيالية مع كتاب "المعذبون في الأرض" لفرانز فانون، الذي شكل البذرة لأداب مابعد الكولونيالية
ب- يعد كتاب الاستشراق "المفاهيم الغربية للشرق" 1978 لإدوارد سعيد أهم مصدر في مجال مابعد الكولونيالية ترجمه محمد عناني عام 1995 ، وإدوارد سعيد هو من رواد مابعد الكولونيالية، وقد مهد كتابه الاستشراق لما أصبح يسمى نقد الاستعمار (colonial critique) أو مايسميه إدوارد بنقد مابعد الاستعمار (Postcolonial Criticisim) ومن أهم مظاهره قيام أبناء البلدان التي تحررت من الاستعمار بإعادة النظر في التركة الاستعمارية، وهو مايتجلى في آدابهم ومآتى به من مجالات جديدة للدراسات النقدية، وتوالت المؤلفات في مجال مابعد الكولونيالية، ورجعت بدايات ظهور تيار مابعد الكولونيالية إلى الستينيات بالنظر إلى تاريخ تأليف كتاب المعذبون في الأرض " 1961 لفرانز فرانز.

3- الفرق بين الروايتين الكولونيالية (الحضارية) ومابعد الكولونيالية (مابعد الحضارية) :

تعد الرواية في مقدمة الكتابات النظرية في آداب مابعد الكولونيالية ، وقد ظهرت في مقابل الرواية الكولونيالية ونستعمل مصطلح الحضارية في مكان الكولونيالية، ونجمل بعض الاختلافات الخطابية والسردية في كل من الرواية الحضارية والرواية مابعد الحضارية فيمايلي:
أ- الرواية الحضارية يخضع السرد والخطاب للتشهير المانوي (الغرب/الشرق) وفي المقابل تكسر الرواية مابعد الحضارية التقاطب لصالح التشهير الداخلي .
ب- يتبين المخيل السرد في الرواية الحضارية كرحلة نحو الخارج ، وتمثيل للذات في علاقتها بالآخر الإمبريالي بالمقابل تشخيص الرواية مابعد الحضارية رحلة الذات إلى الداخل وتجربة الذات الإنسانية في علاقتها بالواقع .
ج- تصور الرواية الحضارية صدمة الغرب، بالمقابل تصور الرواية مابعد الحضارية صدمة الواقع.
د- في الرواية الحضارية تتحكم أوليات اللاشعور الجماعي والذاكرة الجماعية وعقدة التاريخ في أفعال الشخصيات بالمقابل تتحكم في شخصيات الرواية مابعد الحضارية شروط السياق الاجتماعي والفكري للشخصيات .
هـ- يعيش البطل في الرواية الحضارية كمنقذ مغترب في مجتمعه منقطع ومنفصل عن أهله ، فإن البطل في الرواية مابعد الحضارية يعيش في سياسات الناس .
في الرواية الحضارية يخضع تحديد للذات في علاقتها بالآخر والإشكاليات المترتبة عن ذلك من الاغتراب وبينما الرواية مابعد الحضارية نجد فيها تحديد الهوية .
إن إقحام أفكار مابعد الحداثة، التي تبنتها الكولونيالية الجديدة بنظامها الرأسمالي بدأت ثمار الثقافة الوطنية وتنتهك مبادئها محاولة منها لإعادة إنتاجها وفق ثقافة المركز - الغربية- لكي تلائم مشروع هدم الإرث الثقافي وحل الذات وتفكيكها، وتبديد الهويات، ليحل محلها براديجم جديد أسهمت في صنعه الكولونيالية الجديدة على أسس المنفعة في صيغتها البراغماتية، وأنتجت مابعد الكولونيالية خطاب أدبي جديد يمكن أن نسميه بمابعد الحداثة أو مابعد الحضارية، وهو ضد خطاب الكولونيالية التي عملت على محاربة الهويات الوطنية وتفكيكها.

ثانياً: الرواية المغربية ما بعد الكولونيالية:

ظهر آداب ما بعد الكولونيالي في أقطار المغرب الغربي بعد استقلالها، وكانت الرواية المغربية في طليعة الأدب ما بعد الكولونيالية ، وعالجت الرواية المغربية ما بعد الكولونيالية قضايا ارتبطت بوضع بلدان المغرب العربي تجاه هيمنة الاحتلال الأجنبي له ، ومنها ماتعلق بالذات والهوية والصراع مع الآخر .

1-البحث عن الأنا :

في الثقافة الكولونيالية يتشكل الأنا بالقياس إلى الآخر ، ولاصعب أن نعاين في الواقع مواقف كثيرة تتأسس انطلاقاً من الصورة التي لدينا عن الآخر إن في النظرية أو في الممارسة ، وهذا الآخر يتلون وفق تموضع الأنا بوصفه ذاتاً فردية في البدء، وقد عالج رشيد بوجدره إشكال الأنا والآخر ورهانات الهوية في الأعمال الروائية الجزائرية التالية:فتاة أحلامي لرضا حوحو ومالاتذروه الرياح لعرار محمد العالي ، ومعركة الزقاق لرشيد بوجدره ، وفتاوى أموت إبراهيم سعدي ورأس المحنة لعز الدين جلاوجي ، وكتاب الأمير لواسيني الأعرج .

وقد ظهر الأنا في صورة جماعية تقاوم المحتل كما في رواية "عام الحبل"لمصطفى نطور أو جماعة من القبائل الأحزاب مختلفة الألوان ،وتسعى جميعها للظفر ب"العالية بنت منصور من القبائل رمز الجزائر كما في رواية "عبد الملك مرتاض"مرايا متشظية ،أويتم التلميح إلى التناقض بين الأنا والآخر بمرونة أدبية من خلال الشمال ، الذي يأكل الجنوب كما في رواية السعيد بوطاجين "أعوذ بالله"2006 .

توجد علاقة صراع بين الأنا والآخر ،فالأنا هي الضعيفة المسلوقة الحقوق تقاوم الآخر المحتل ، فهنا ثنائية ضدية فيها طرف ضعيف مثله العالم الثالث ، والطرف الآخر قوي مثله الغرب .

سلطت الروايات المغربية الضوء على الأنا الضعيفة المهزومة، التي تعي وجودها من خلال الآخر المهيمن وهنا علاقة تضاد بين الأنا والآخر كما صورته رواية أعوذ بالله لسعيد بوطاجين .

ثالثاً- أشكال مقاومة الآخر :

تعددت أشكال مقاومة الآخر حسب الذات المقاومة ،فهناك صور سلبية أخرى إيجابية،فظهر نصوص روائية كولونيالية ونصوص أخرى مضادة لها ،وهذه الأخيرة هي التي سنركز عليها .

1-تعدد صور الآخر:

عندما نبحث عن تجليات صور الآخر في الأعمال الروائية المغربية، فنجد صور سلبية وأخرى إيجابية .

أ-صورة الآخر السلبي :

نجد الروائي المغربي "تور الدين وحيد في روايته رماد البارحة 1999 تحدث عن التجنيد الإجباري الذي بدأ منذ بداية القرن العشرين ، وصور بشاعة الحرب حرب من أجل الآخر فرنسا ضد النازية،ونفس الصورة نجدها في مجموعتي "الحبيب السائح"القرار و"الصعود نحو الأسفل"بالذات ينعكس هذا الخطاب بشكل جلي ،حيث المعذبون في الأرض - عمال أو فلاحين - يعانون من ممارسات عدو طبقي برجوازي ، ويستدعي "عمار بلحسن"ماضي القيادة والإقطاعيين ليعيدنا إلى واقع لم يتغير في بعده الاجتماعي قصة "زمن الجري في الاتجاه الصحيح"وقد تأتي القصة تعبيراً عن إدانة ساخرة ممن يمثل صورة الانتهازي والوصولي ،الذي لايمتطي خطاباً اشتراكياً إلا لبلوغ مآربه "اشتراكى حتى الموت"الطاهر وطار" ،ومنه لاحظنا تتعدد صور الآخر فقد يمثل دولة استعمارية كفرنسا في رواية "رماد البارحة"وقد يمثل فئة مستغلة برجوازية أو شخص انتهازي، كما في قصص القرار و"الصعود نحو الأسفل و زمن الجري في الاتجاه الصحيح" ، والذي يجمع صور الآخر المتعددة هو الرغبة في الهيمنة والتسلط.

ومع مرور الزمن نكتسي صورة العدو الطبقي لباساً دينياً كذلك في روايات الطاهر وطار "الزلازل وعرس بغل والعشق والموت في الزمن الحراشي" إلى أن تتجسد في سائر الأعمال التي ظهرت في تسعينيات القرن الماضي.

فهذا الآخر الذي أصبح جسداً غريباً في الوطن سماه واسيني الأعرج "حراس النوايا" في سيدة المقام "ويظهر من خلال مجموعة من الممثلين لدى الطاهر وطار في الشمعة والدهاليز بينما يصرح "رشيد بوجدره بما تمارسه الأصولية والإرهابيون الإسلاميون من قتل وتدمير في تيميمون".

إن تصوير الصراع الرمزي تتخذ موقفاً منه ومن الواقع موقف تكشف عنه دراسة كيفية تمثيل هذا الصراع الرمزي في عالم التخيل، وتجدر الإشارة إلى أن الآخر قد يكون الأجنبي أو من مجتمعك ، فالآخر هنا يُقصد به من يختلف معك في الثقافة والتوجه السياسي ،وقد يكون من وطنك كما حصل مع الآخر الإسلامي المتطرف وصورته أعمال الطاهر وطار وواسيني الأعرج ورشيد بوجدره .

إن روايات على عكس روايات الطاهر وطار لاتطرح البديل جاهراً على أنه الحل الأنجع بل الحقيقة المطلقة المساعد على الخروج من التأزم المعيش ، ولكنها تسعى ، ومنذ البداية إلى تحليل الآخر، والكشف عن كل نقائصه وسلبياته من خلال الكشف عن أزمته الحضارية المطروحة على المجتمع ، وكل ذلك من خلال تقديم وعي شامل لقضايا الاجتماعية المغربية في علاقتها بالحضارة الاستعمارية ،التي تدخل معها في علاقة تصادم وتبادل، فإذا كان الإنسان المغربي يعاني من إحباطات تاريخية ،فإن الإنسان الغربي هو الآخر ليس في منأى عن ذلك ،ولاهو في وضع أفضل إنه يعاني من المتاعب التي خلفتها الحضارة الغربية نفسها.

ب- الصورة الجديدة للآخر الإيجابي :

ومثلما صادفنا الآخر الشرير في الأعمال الروائية السابقة نجد صورة أخرى للآخر الإيجابي، حيث ظهرت صورة فرنسي آخر لتلك الشريحة من الفرنسيين ، الذين وقفوا ضد النظام الاستعماري، ففي "يوميات فدائي" من مجموعة الطعنات نقرأ عن هذا الفدائي الفرنسي الذي أنه يتعامل سراً مع المجاهدين ،ويتضح لنا أنه ليس بالضرورة أن يكون الآخر عدواً فقد يكون صديقاً ،وهنا مفارقة لما لمادعت إليه الرواية مابعد الكولونيالية .

2- النص الكولونيالي والنص المضاد :

عندما نتحدث عن صورة (الغرب-الاستعمار) الذي يكون خلفية للتاريخ وللنص المتخيل ،الذي يحاول القبض على تلايب ذلك التاريخ، والاستعمار يعادل القهر والاستعباد واحتقار الآخر .

أصدر الحبيب السائح روايته "تلك المحبة" 2002 وفيها الانقلاب في الصورة الأدبية من جو الحب والصفاء وجمال الطبيعة وطيبة الإنسان الصحراوي إلى صورة فظيعة هو الذي- بدوره - سيفجع القارئ ، ينقله من السكينة إلى الاضطراب من الطمأنينة إلى الخوف، وهناك صورة أخرى لآخر وهي (آخر النحن) الذي يبدو في النص الروائي أقرب إلى الإشكالية ، إذ أنه يتأرجح بين حدود معادلة (الأنا-الآخر) وعملت الرواية المغربية على توسيع مفهوم الأنا عبر (آخر النحن)المندمج حضارياً ودينياً وجغرافياً.

تحكي رواية "الساحة الشرفية" لعبد القادر الشاوي 2005 مسارات ملتبهة بالآلام لشخصيات أورتها السجن إحباطاً وانكسارات ،التي تواجه بعد الإفراج عنها واقعاً مفارقاً، وإذا كان السجن بشكل فضاء معادياً للذات، يهدد كينونتها بالقهر فإن طقس البوح يخلق حالة موازية مشرقة بين الذوات هي الألفة ،التي تسمح للذات بالتعرف إلى ذاتها واكتشاف الآخر في صيرورة متبادلة من البوح المشترك.

إن رواية "الغربة" 1971 لعبد الله العروبي تحيل إلى تاريخ اجتماعي لا يستطيع أن يقبض على زمنه الخاص به، ولا يقدر أن يتعرف على زمن الآخر الذي أبهر الأنا المهزومة بماضيها وحاضرها وكلها بأيديولوجية قناعية الشكل والجوه، وهذا يتجلى من تذبذب الذات المأزومة، حيث أصبح الوعي لا يتعامل مع الواقع المشخص، وإنما يتعامل مع الأشياء، وبين الواقع وأشياء مسافة واختلاف، وإن التمسك بالآخر عند عبد الله العروبي كحل لمشاكلنا المستعصية التي خلفتها فترة الاحتلال يصبح أساسياً على الرغم من النقد، الذي يوجهه الكاتب حضارة الغرب، ففي رواية "الغربة" لعبد الله العروبي صورة عن الغرب فعلاً وعن الشرق أيضاً وعن المغرب كجزء من الرق الثقافي والحضاري، وكجزء من الغرب الجغرافي والتاريخي.

الغرب يرتبط في الرواية كذلك بالحرب التي دمرت أحلام المجتمع والأفراد على السواء، والغرب ليس هو البديل للشرق ولو مؤقتاً، بل العنصر الذي يتحدد به، ومعه معنى النص الذي يتجلى في رفض الغرب -الاستعمار ونبذ الماضي- وإن دولة مابعد الاستعمار غالباً ماتتستعمل لغة قومية معادية للإمبريالية.

يتصور برينان بأن الرواية في البلدان التي كانت ترسخ تحت الاستعمار على أنها "الشكل الذي قد أوصلته طبقة صغيرة مثقفة ثقافة أجنبية إلى جماهير القراء الحواضر بين من خلال الترجمة على الأغلب، ومنه أن ما اتسمت به العلاقة بين الأنا (العربية /الشرقية) والآخر الغربي، الامتداد التاريخي والجذور العميقة لهذه العلاقة المتوترة .

نجد هنا أن مفهوم الآخر في الغالب يُطلق على الغرب الامبريالي، وفي مقابله نجد عبارة النحن عبرت عن الذات المهزومة التي تبحث عن هويتها .

رابعاً - إشكالية الصراع حول الهوية:

لقد حاول الغرب على مر العصور، وتحديداً مع بداية الألفية الثالثة أن يشيع فكرة الصدام الإسلامي الصليبي سعياً منه إلى طمس ما بنته الحضارة العربية من مجد، كان يحسب لها في بناء حضارة قائمة على التسامح .

إن تحويل الصراع من الذات مع الآخر إلى الذات مع نفسها أو الذات مع عقيدتها، هو من باب مساح حثيثة من الآخر المتسلط في حجم ما يتوخاه اللاعبون السياسيون الكبار، الذي يسعون إلى إعادة تشكيل العالم بما يوافق مصالحهم، فمأسانا نقول عن هويتنا العربية الإسلامية، التي بدأت تخسر استمرار تواصلها الترابي من يقين الإرث المرجعي، ودخلت في رهان مع اللامتناهي، الذي يحاول بديلاً لكل ما هو ثابت وقار، والدخول في غمار المجهول بكل ما يحمله من صفات الغربة والغربة. ولقد كان أسلوب العنف من القوة الكونيلية الجديدة أثره البالغ في الرواية المعاصرة، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً .

تشخص رواية "روائح ماري كلير" 2008 للروائي التونسي الحبيب السالمي قصة حب بين محفوظ شاب تونسي وماري كلير فتاة فرنسية خارج نسق "الشفرة الكولونيالية التي فرضت جمالياتها المانوية على سياسات التمثيل بما جعل الذات في الرواية الذات في الرواية الحضارية تؤكد هويتها في مسار الصراع القائم مع القوى الكونيلية .

وفي رواية "مصاييح مطفأة" 2004 للروائي المغربي أحمد الكبيري يتم دمج المسار الفردي للذات في مسارات الآخرين، والنموذج الفردي في الرواية يتميز ببنيته المنفتحة بمعنى أنه لا يتشكل كنسق مغلق على الذات لشخصية "المحجوب" بل يفتح على الفضاء العام لمدينته، وتحكي رواية "مصاييح مطفأة" مساراً معكوساً لما عرف في النقد العربي بالرواية الحضارية، وإذا كانت معظم نماذج الرواية الحضارية تركز على تشخيص رحلة الذات من الجنوب إلى الشمال، فإن "مصاييح مطفأة" تقلب هذا المسار السردي، وترتكز على تشخيص عودة الذات من الشمال إلى الجنوب، وبالتالي رواية "مصاييح مطفأة" هي رواية مابعد الكولونيالية، وإذا كانت الرواية الحضارية تصور صدمة الغرب، وعلى مستوى السرد تصف رحلة إلى الخارج، وتمثيلاً للآخر الإمبريالي، فإن "مصاييح مطفأة" تشخص صدمة الواقع، وعلى مستوى السرد تصف رحلة إلى الخارج، وتمثيلاً للآخر

الإمبريالي، فإن "مصايح مطفأة" تشخص صدمة الواقع، وعلى مستوى السرد تصف رحلة إلى الداخل the voyage in وتمثيلاً للذات الإنسانية

في هذا المسار الخطابي تختلف رواية "مصايح مطفأة" في رهانها الثقافي عن روايات الأليغوريا الوطنية في مرحلتها الأولى، التي رافقت حروب التحرير والاستقلال، حيث كانت رواية هذه المرحلة الانتقالية مشدودة إلى شرطها التاريخي والذي تمثل في تقديس شعار الاستقلال والتحرير كإيديولوجيا وطنية مقدسة عليها إجماع .

رواية "أيلان أو ليل الحكى" 1983 كاتب المغربي إدمون عمران المليح .

ونجد أن رواية محمد برادة "بعيداً عن الضوضاء قريباً من السكات" 2014 يستهل فيها الكاتب الرواية باسم الراجي مساعد المؤرخ، وتبحث في الهوية التاريخية للمجتمع المغربي، فهو يحكي تاريخ بلاده عن طريق الشاب "الراجي" الذي حاول استعادة تاريخ المغرب منذ الحماية الفرنسية حتى الاستقلال .

وعندما تعرف العرب على الغرب كان هذا الأخير قطع أشواطاً كبيرة في معرفة ذاته، ومع ذلك اضطر العرب أن يبداً من البداية وكانت معرفة العرب للغرب تتسع وتعمق بقدر ما كان المجتمع العربي يزداد تمايزاً في مبناه الاجتماعي، ويبدأ العهد الحديث في المغرب مع القرن العشرين، فكان المغاربة يعرفون الغير القريب منهم .

والمجاز الخاص بصور الاختلاف الثقافي تجسده في النص صور الجماعات الانزياحية؛ أي تلك الجماعات التي تتشكل هويتها "بيننا" على الحدود، وفي طرق الهجرة، وفي زمن الهجنة الثقافية، وليس في بؤر الأصول الثابتة تتكلم لغة خليطة، وإن البحث في مسألة الآخر يستلزم شرطاً لاستكمالها، يتمثل في البحث عن الذات، وإعادة طرح سؤال الهوية من مواقع مختلفة، إذ أن تجلي الآخر بأنماطه المختلفة وصوره المتعددة يستدعي بالضرورة تجلي الأنا، وقد تداخلت قضية الآخر في الفكر والمخيال الإنسانيين بقضية الهوية أو (إثبات وجود الذات) وعلاقتها مع الغير .

وأما عن محاولات الفكر العربي التعامل مع مسألة الأخرية، فقد ارتبطت بسبب الظروف التاريخية بعملية أخرى كان هدفها الأساس البحث عن الذات، وإثباتها مقابل الآخر الأجنبي في محاولة لإبراز خصوصية الهوية التي يتمتع بها، ومن ثم العمل على حمايتها من هيمنة وسلطة الآخر، وقد تعامل الفكر العربي مع مفاهيم الهوية والأخرية عبر مراحل متعددة انتقلت به من الصدمة السلبية نحو المراجعة الجريئة لآليات التشكيل المعرفي للعقل العربي، في محاولة جادة لمحاورة الآخر والإفادة من منجزه الحضاري .

ونجد أن الرواية العربية في نشأتها لم تكن إلا وليدة المفارقات الكبرى، ونتيجة للصدام الحضاري بين الثقافتين العربية والغربية، فالشكل الروائي مرتين في ولادته وتطوره بالعلاقات مع الغرب، وإن أديب الكولونيالية يلعب على أعراف المشروعية، التي هي الأنواع والأشكال الأوروبية ليتوصل إلى التعبير عن أصالته، ومنه فالرواية مابعد الكولونيالية أنتجت خطاب يحفظ للذات هويتها ويقاوم تفككها، ومثلما أفرزت الكولونيالية خطاب الهيمنة والسيطرة واحتواء العالم الثالث وطمس هويته تصدت مابعد الكولونيالية لذلك فأنتجت خطاب الوحدة والمقاومة والرفض، وتحدد الذات بالنسبة للآخر المقابل لها ولاحظنا تعدد في صور الآخر بالنسبة إلى الذات .